

«فقہ الاستغراب: الغرب في عيون أعدائه»

منى أبوزيد *

يتناول هذا الكتاب «الاستغراب» باعتباره علاقة متبادلة بين الشرق والغرب. فهناك آلاف الكتب والدراسات والبرامج والأفلام تقول- جميعاً وعلانية- إن الغرب يكره العرب، وإن المقولة التي أطلقها الروائي والشاعر البريطاني «رديارد كيبلنج»: «الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا» هي أكثر من حقيقة متمثلة فيما يفعله الغرب منذ الحروب الصليبية وصولاً إلى ما فعله من تمكين الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين وتدمير العراق وليبيا واليمن وصناعة «القاعدة» و«داعش» إلى آخر تلك القنابل الذاتية.

ينصب تركيزها على أمريكا ومعاداة كل ما هو أمريكي وهو- في بعض الأحيان- نتيجة لسياسات أمريكية بعينها، كدعم أمريكا الديكتاتوريات لمجرد كون تلك الديكتاتوريات مناهضة للشيوعية، أو دعمها لإسرائيل أو لصندوق النقد الدولي أو لشركات متعددة الجنسيات، أو أي كيان يمكن إدراجه تحت اسم «العولمة». تلك «العولمة» التي عادة ما يُنظر إليها كاختزال للإمبريالية الأمريكية أو تجسيداً لها. وقد يكون البعض- فيما يرى المؤلفان- معادياً للولايات المتحدة نظراً لمجرد كونها بالغة النفوذ مرهوبة الجانب. والبعض الآخر يستاء من حكومة الولايات المتحدة لأنها تمد يد العون للمعارضين، أو تقوم بمهمة حماية البعض. وهناك من يكره أمريكا لخدلانهم حين يُرجى منها العون.

إن أحد وجوه فهم «الاستغراب» هو تتبع تاريخ جميع ارتباطاته ومشاركاته من حركة «الإصلاح المضاد» و«التنوير المضاد» في أوروبا إلى مختلف أشكال الفاشستية والاشتراكية القومية في كل من الشرق والغرب، إلى حركات مناهضة الرأسمالية ومناهضة العولمة، وأخيراً إلى موجات التطرف الديني التي تمور في غير موضع من عالم اليوم.

والغرض من وراء كتابة هذا الكتاب يكمن في محاولة فهم دوافع «الاستغراب» وإبراز أن الانتحاريين والجهاديين لا يعانون مرضاً بعينه، بل ينطلقون وفق أفكار لها تاريخ، وهذا التاريخ

في نظر الأعداء يُعد كياناً آلياً بارداً لا حياة فيه. والنفور من العالم الغربي قد جذب المسلمين من ذوي النزعة الراديكالية صوب إيديولوجية إسلامية تجسد الولايات المتحدة على أنها رديف للشيطان. وهذه الرؤية يتقاسمها أيضاً غلاة القوميين الصينيين فضلاً عن بلدان أخرى من العالم غير الغربي.

وبالطبع تختلف الأسباب الداعية إلى كراهية «الغرب» باختلاف الفصائل. فالأجاء اليساري المعادي للإمبريالية الأمريكية مع الإسلامويين الراديكاليين يمتقنون الانتشار العالمي للثقافة الأمريكية وتوغل نفوذ الشركات الأمريكية. ويصف المؤلفان هذه الصورة للغرب بأنها صورة لا إنسانية بشعة رسمها أعداء الغرب له، وهو ما أطلقا عليه مصطلح «الاستغراب»، وهدفهما من هذا الكتاب دراسة حزمة الآراء المحففة المتحاملة، وتتبع جذورها التاريخية، وهذا لا يعني اختزال كل الكراهية في مقولة ساذجة تختزل ظاهرة «الاستغراب» في القول بوجود «مرض» في قلوب الشرق أوسطيين.

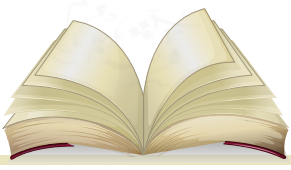
ويؤمن المؤلفان بأن «الاستغراب» مثله في ذلك مثل «الرأسمالية» أو «الماركسية» أو العديد من مذاهب حديثة أخرى- قد نشأ في أوروبا ثم تم تصديره إلى أنحاء متفرقة من العالم. وكما كان «الغرب» مهذاً لحركة «التنوير»، وما تفرع عنها من مذاهب ليبرالية ومشارب علمانية، فقد كان أيضاً منبعاً لأعراضها الجانبية السامة. إن الإشكالات المعاصرة للاستغراب عادة ما

ولم يُعد الغرب يخفي برامجه ومخططاته، وصار العبث في الشأن العربي يُبث على الهواء مباشرة.. صارخاً أن الغرب يكره العرب. ويتجلى هذا في تبخيس أسعار الخامات العربية، وسرقة العقول والمواهب، والإرهاب المباشر وغير المباشر، والتلويح الدائم بسيف العقوبات، وفرض التبعية إلى آخر تلك الشواهد التي تؤكد أن الغرب يكره العرب.

ومؤلفا هذا الكتاب هما: إين بوروما، وأفيشاي مارغاليت. الأول كاتب وأكاديمي وُلد في عام ١٩٥١ وهو مُقيم حالياً في الولايات المتحدة ويُعد من المثقفين الغربيين البارزين. أما الآخر فقد وُلد في عام ١٩٣٩ بفلسطين وحصل على بكالوريوس الفلسفة والماجستير والدكتوراه من الجامعة العبرية بالقدس، ووصل في المناصب الأكاديمية إلى أستاذ كرسي للفلسفة. وكان مارغاليت أحد زعماء حركة «السلام الآن» الإسرائيلية. حيث شارك في تأسيس المجلس الإسرائيلي للسلام الفلسطيني/ الإسرائيلي في عام ١٩٧٥.

يتكوّن الكتاب من ستة فصول. يعرض الفصل الأول «الحرب على الغرب». ويتناول المؤلفان الأسباب الداعية إلى كراهية الغرب. وأن من يكره الغرب الآن هم جماعات متعددة نظروا إلى الحضارة الغربية باعتبارها حضارة مدمرة تعمل على تقويض قوى الإبداع وآلياته. حضارة مبنية على قوة التمويل الرأسمالي اليهودي. فالغرب- وبخاصة الولايات المتحدة الأمريكية-





التذكير بأن المؤلف مارسيلو سفيرسكي: هو محاضر في الدراسات الدولية في مدرسة الإنسانيات والبحث الاجتماعي في جامعة ولونغونغ منذ عام ٢٠١٢، حيث انتقل إليها قادماً من جامعة كارديف في ويلز، والتي عمل بها في مركز الدراسات النقدية والثقافية منذ ٢٠٠٨. يُدرّس مارسيلو مواضيع في الدراسات الدولية وأبحاثاً عن سياسات الشرق الأوسط والفلسفة القارية الأوروبية؛ ويركّز في المقام الأول على النظريات وممارسة النشاط السياسي والعمل الثوري والتحول الاجتماعي. يحاول في مواضيعه تلك الربط بين الفلسفة القارية الأوروبية - بشكل خاص أعمال جيل دولوز وفيلكس غاتاري؛ النظرية السياسية النقدية ونظريات ما بعد الاستعمار. يطبق مارسيلو أعماله على الشرق الأوسط وخاصة فلسطين - إسرائيل، كما يهتم بسياسات أمريكا اللاتينية. وتتسم أبحاثه بنوعيتها وميلها إلى المنهجيات الإثنوغرافية (الإنسانية). صدر له العديد من البحوث والكتب في هذا الإطار ومن كتبه -دولوز والنشاط السياسي - ٢٠١٠- و-أغامبين والاستعمار (بالشراكة مع سيمون بينيال) - ٢٠١٢- و-النشاط العربي اليهودي في إسرائيل-فلسطين- ٢٠١٢-. وبهذه الترجمة الرصينة يتعرف القارئ العربي على مارسيلو سفيرسكي لأول مرة.

الكتاب: ما بعد إسرائيل - نحو تحول ثقافي

المؤلف: مارسيلو سفيرسكي

الترجم: سمير عزت نصار

الناشر: منشورات المتوسط إيطاليا إصدار ٢٠١٦

الصفحات: ٢٨٥ صفحة.

* كاتب مغربي

عِرقِي قومي بين اليهود والفلسطينيين وخطوطاً عنصرية طبقية بين الأشكنازيم والمزراحيم نتيجة لهذا، أزيل طموح حياة، يشترك فيها اليهود والفلسطينيون، إمكانية مجتمع مجرد من العسكرية، رؤية العنصر والجنس ضمن المجتمع الإسرائيلي اليهودي، سعة التفكير النقدي والفعل المركب، العاطفة نحو الديمقراطية وتركز الهويات الاجتماعية الصهيونية نفسها على إقصاء هذه الاحتمالات وإعادة تدوير السياسات العنصرية والعزلية والعسكرية. وهذا ما سيؤدي بإسرائيل إلى حتفها. وما يذهب إليه الكاتب يؤكد المؤرخ والانتربولوجي الإسرائيلي صاند شلومو الذي يقول بشأن مستقبل إسرائيل - لا أعتقد أن اليهود لديهم مستقبل مشترك، من المنظور الثقافي والأنثروبولوجي. ولا رؤية للمستقبل. كما أن معظم الصهاينة لا يريدون أن يعيشوا مع باقي اليهود الآخرين ويقتسموا السيادة والثقافة الوطنية نفسها.

يمكن القول إن هذا العمل البحثي أصيل للغاية وهو أحدث الكتب التي تتحدث عن مآلات الوضع بين فلسطين وإسرائيل وعن احتمال التوصل إلى حلول بين الدولتين أو الدولة الواحدة لهذا الصراع الطويل. كما يركز على طرح منهجية تحررية ضرورية لحتمية التحول الثقافي في إسرائيل لصالح جميع ضحايا الصهيونية: يهوداً وفلسطينيين. ومن أجل تحقيق ذلك يفكك الكاتب تعقيدات الذوات اليهودية الإسرائيلية على مستوى ممارسات الحياة اليومية. ما بعد إسرائيل هو إسهام مهم وجريء يعيد طرح الأسئلة المحرجة عن التفكير الصهيوني المقوض للوحدة الإسرائيلية نفسها واستحالة إحلال سلام في فلسطين في ظل النظام الإسرائيلي الحالي. في الختم لا بد من

الأيام المبكرة لهجرة الصهاينة الأوروبيين إلى فلسطين في نهاية القرن التاسع عشر ممارسة استراتيجية، سياسية تحوّل كل مواجهة مع الطبيعة إلى مناسبة إلى غرس أيديولوجيا سياسية معينة. إن التّنزّه الإسرائيلي ممارسة عسكرية تحوّل الأرض إلى منطقة. امش متقدماً، واحتل.

المدرّس: في كل المجتمعات، التعليم هو عمل، على مراحل بامتياز، لتكوين الوعي، وتمهيد مسار العقل. مع هذا، ما يميّز دور المدرّس فيروضات إسرائيل اليهودية ومدارسها، هو أنه يخدم مجتمع مستوطنين مسلّحين.

الوالد: الذي يعتمد عليه الكيان الصهيوني لتشجيع الأبناء للانخراط في الجيش والدفاع عن الأسطورة.

الناخب: أو صناعة الصورة الديمقراطية للمجتمع الذي يمثله البرلمان الإسرائيلي، في حين ما هو إلا وسيلة للتمويه على الاضطهاد السياسي للمنشقين، والتعمية على الجرائم التي ترتكب في حق فلسطيني الضفة وغزة وفلسطيني الداخل. وهذا يؤكد على نحو شمولي شخصية إسرائيل غير الديمقراطية، بالرغم من إجراءاتها الديمقراطية.

إن البحث عن تكوين الذاتيات النقدية - هو جوهر هذا الكتاب - الذي يعتبر الكيان الصهيوني مخيباً للآمال حتى بالنسبة للمثقفين العضوين الإسرائيليين، الذين انتقدوا البرمجة البنيوية للكائن الصهيوني المتأثر بممارسات ومعتقدات وقيم جماعية ونزعات سياسية.

منذ أيام هجرة الصهاينة الأوروبيين المبكرة إلى فلسطين عند بداية القرن العشرين حتى الوقت الحالي، تطوّرت الصهيونية باستمرار بهندسة ونشر كل أنواع أجهزة العزل؛ وعلى نحو أبرز، رسمت هذه الأجهزة خطوط تقسيم

